

من سترجم؟

لقد لفت انتباهنا المقال المنشور في ركن "أفكار" لجريدة لوموند (Le Monde) بتاريخ 10 سبتمبر والذي أمضاه عدد من أعضاء "الجمعية الفرنسية للتكوين الجامعي لمهن الترجمة" (AFFUMT). لقد تبنى كَتَاب المقال موقفا مؤيدا لاستعمال الذكاء الاصطناعي في الترجمة ويزعمون، في ظلّ الجدل القائم حول هذا الموضوع، تمثيل تيار المنطق والموقف الوسط (فالذكاء الاصطناعي ليس شيطانا ولا ملاكا). رافضين "المشاعر"، "رسائل التحذير" و"التوقعات الألفية"، قرّروا الوقوف في جانب "الوقائع" والتي يدّعون التذكير بها. في توطئة مقالهم، راحوا ومن دون تسميتهم يقذعون كل من يُدين استعمال الذكاء الاصطناعي في الترجمة؛ توطئة من السهل إدراك رغبة أصحابها في دحض أيّ موقف معارض لهم ناعتين إياه بالمتطرف والرجعي (ومآله الفشل). هكذا استحوذوا لأنفسهم ولمنهجيتهم توصيفات "حكيم" و"بناء". وماهي إلاّ استراتيجية بلاغية قديمة وحده الخوف من يقبع ورائها: وعلى عكس ما يشير إليه عنوان المقال فنصه لا يتحدث عن الخوف من اندثار مهنة المترجم ولكن اندثار مدرّسي الترجمة في الجامعة بفرض أنّ الطلب سينخفض بسبب جو من القلق.

ما يحسب للحجج التي استعملوها هو بساطتها: (1) علينا أن نستسلم للأمر الواقع (2) يجب أن نتكيّف مع الوضع. فكرة عفا عليها الزمن من الداروينية الاجتماعية ("there is no alternative") والتي تُنبؤنا بمقدم "احتياجات جديدة ومهن جديدة". لم يقوموا بتحديد هذه الأخيرة لكن من السهل التكهن بها (هي بيننا)، بل لم يقوموا بتجريب مهنة المصحح/ة الآلي ("تحرير الترجمة الآلية") لملاحظة أنه لا يتمخض منها إلاّ التبعية أكثر من إنتاجها للتفتح.

وبعد أن أوجب على المترجمين أن يتكيفوا إذا ما هم أرادوا البقاء والاستمرار، يختتم المقال بدعوة إلى استبدال المشاعر بالملاحظة. فليكن، لنلاحظ ولنفكر، ثم أليس هذا هو هدف "مرصد الترجمة" الذي تم إطلاقه منذ سنة 2018 من طرف "مؤسسة ترقية الترجمة الأدبية" (أطلس ATLAS) والذي يعرض في كل سنة أفكاره بمناسبة "جلسات الترجمة الأدبية" (Assises).

إننا اليوم في "أطلس" نتساءل إلى أي مدى يمثل هذا الموقف المعلن عنه مجموع أساتذة الترجمة وماذا سيؤول إليه تعليمٌ يكوّن أناسا ويوجههم إلى عالم شغلٍ يعيش تحوّلا وعدم استقرار بسبب الذكاء الاصطناعي. لهذا يبدو لنا من المهم التوكيد على:

- أنّ الترجمة الأدبية هي عاملٌ من عوامل التفتح كونها تلقن ممتنها التحكم في اللّغة: الترجمة وسيلة قوية لتكوين الفكر وسيستفيد منها كل الطلبة مهما كانت المهنة التي سيختارونها؛
- أنّ هذه الفائدة ستضعف بشكل لافت حين تستغني عملية الترجمة عن بعدها الإبداعي فيتم حصرها في مهمة مراقبة نموذج يمليه معيار "الأكثر احتمالا"؛

- أن الإحصائيات التي بُنيت عليها الحسابات اللوغاريتمية تسعى لاستبدال الممكن بالمحتمل، وهو ما يتناقض مع تفرّد اللّغة كونه شرط كل تفكير حقيقي؛
- أن المترجمات والمترجمين الأدبيين منوطين بمسؤولية اجتماعية وبأنّ أخلاقيات استعمال لغة ما لا يمكن حصرها فقط في تصحيح المغالطات اللوغاريتمية المتعلقة بالجنس وبالعرق.

إنّ الدعوة إلى الاستعمال "الأخلاقي" للذكاء الاصطناعي، هذه التكنولوجيا المعتمّدة على "نماذج لغوية واسعة" (LLM) والتي تمّ تجميعها بفضل سرقة معطيات وعمل الكتاب، هي رغبة لا أمل في تحقيقها، فهذا الاستعمال مستحيل ببساطة لكون الوسيلة مبنية على السرقة. علاوة عن ذلك، فضمن "شروط عمل محترمة وأجر مستحق" هي حقوقٌ لن ينالها مترجمو المستقبل إلا من خلال ضبطٍ ستقرّر الدول والكيانات المتجاوزة للدول فرضه على شركات الرقمية، سواء كانت في أوروبا أو خارجها، وهو ما يستلزم إرادة سياسية مع ما يتبعها من استيعاب من المواطنين للرهانات المجتمعية.

إنّ أولويات الأساتذة أصحاب المقال قد عبّروا عنها صراحة: السماح للطلبة بمزاولة "مهنة تدرّ عليهم المال"، "مهنة يجب أن تسدي خدمة للمجتمع ولمختلف فاعليه (شركات، إلخ)". لن ننكر بأنّ الجامعة بصدد تأدية هذه المهمة وبأنّ هذا التصوّر يجيب بلا شك على تطلعات عدد كبير من طلبتها، لكن ما من مانع أن نعتقد بأنّ في مقدورها أيضا الاستجابة لتطلعات أخرى وبخاصة تكوين مواطنين أحرار ويقضون. لهذا فإنّ الأخلاق والقيم التي يؤكد أصحاب المقال بأنها شأنٌ لا يعينهم هي مفهومٌ لا يجب البتة إقصاؤه في هذه الحالة. وإذا كان من المهم أن يستعين الطلبة بالأدوات التي يغذيها الذكاء الاصطناعي فمن المهم ألاّ يصبحوا هم أنفسهم أداةً في يد هذا الأخير؛ عليهم أن يُدرجوا معرفتهم بهذه التكنولوجيات في ثقافة عامة إنسانية متعلقة بالترجمة، وأن تكون هذه المعرفة متفتحة على فلسفة اللغة، على العلوم المعرفية، على تاريخ تيّار "تجاوز الإنسانية" وعلى البيّنات. هذا دون أن ننسى الصراع السياسي بين الدّول والتكنولوجيا والذي عبّر عنه الدعم اللامشروط الذي حظيت به شركة "ميسترال الذكاء الاصطناعي" من قبل الحكومة الفرنسية والتي أعلنت الحرب ضد البرلمان الأوروبي من أجل إفراغ القانون الأوروبي حول الذكاء الاصطناعي من محتواه.

مارغو نغويان بيرو، رئيسة أطلس
يورن كامبرلانغ، مدير أطلس

ترجمه عن الفرنسية: جلال الدّين سماعن.